تقدير الموقف

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

قرار الانسحاب الروسي من سوريا
بين الاضطرار وهندسة الصفقات

قرار الانسحاب الروسي من سوريا
بين الاضطرار وهندسة الصفقات

تقدير الموقف

أبريل 2016

جميع الحقوق محفوظة لمركز جسور للدراسات 2016 ©

مؤسسة مستقلة متخصصة في إصدار المعلومات وعمل الدراسات ، والأبحاث المتعلقة بالشأن السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، والقانوني في منطقة الشرق الأوسط ، والمتعلقة بالشأن السوري بخاصة ، بحيث يمد جسوراً للمسؤولين وصناع القرار في كافة تخصصات الدولة ، وقطاعات التنمية ، لمساعدتهم في اتخاذ القرارات المتوازنة المتعلقة بقضايا المنطقة ، وذلك بتزويدهم بالمعطيات والتقارير العلمية الواقعية الدقيقة.

تركيا - غازي عنتاب

+90 537 558 5821

www.jusoor.co

info@jusoor.co

@jusoorstudies

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

الفهرس

ملامح المشهد قبل الانسحاب	1
حقيقة الانسحاب	5
دوافع الانسحاب	8
آثار الانسحاب	12
الخاتمة	17

قرار الانسحاب الروسي من سوريا بين الاضطرار وهندسة الصفقات

لم يأت الإعلان الروسي مساء 14 مارس/آذار 2016 عن سحب قسم من القوات الروسية المتواجدة في سوريا مفاجئاً لكثير من المتابعين والمراقبين فحسب ، بل أيضاً لمعظم الفاعلين الدوليين ، حيث أثار نقاشاً مستفيضاً حول الدوافع والأسباب الحقيقية التي دفعت الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لاتخاذ هذا القرار الذي تشير كثير من المصادر إلى أنه اتخذ قبل ساعات قليلة من الإعلان عنه بطريقة استعراضية.

وفيما بقي موضوع العلم به مسبقاً من النظام السوري أو الإدارة الأمريكية محل جدل بالرغم من بعض التصريحات والمؤشرات المتناقضة التي دللت بعضها على أن موسكو لم تنسق مع أحد في اتخاذه ، فقد كان من المهم بحث هذه الخطوة وأسبابها وتداعياتها المحتملة.

أولا: ملامح المشهد قبل الانسحاب

لقد جاء قرار الانسحاب الروسي بعد سلسلة من الخطوات السياسية لحل الأزمة السورية شاركت فيها روسيا ضمن جهود دولية مع الولايات المتحدة ، بدءاً من فيينا وقرار مجلس الأمن 2254 في ديسمبر/كانون أول 2015 الذي جاء بعد أكثر من شهر تقريباً على التدخل الروسي، ومروراً بجنيف التي فشلت الجولة الأولى من مفاوضاتها في 29 يناير/كانون ثاني 2016 ، وكذلك مؤتمر ميونخ في 11 فبراير/شباط الذي قاد للتوصل إلى اتفاق وقف الأعمال العدائية، ثم العمل الثنائي بين موسكو وواشنطن لتحقيق وقف إطلاق النار، انتهاء بإعلان الانسحاب مع بدء جولة جديدة من المباحثات.

كما جاء قرار الانسحاب بعد مرور أشهر على التدخل السعودي في اليمن ، وبعد أجواء من التقارب السعودي التركي القطري فيما يتعلق بسوريا ، وأتى متزامنا أيضاً مع استعداد سعودي للتدخل في سوريا ، وبعد مرور أيام قليلة على مناورة رعد الشمال التي استقبلت فيها السعودية 350 ألف جندي و 20 ألف دبابة وعشرات السفن وحوالي 2500 طائرة حربية ، والتي تم الإعلان عن أنها تستهدف التجهز لقتال

المجموعات الإرهابية في المنطقة، فيما يبدو أن الهدف المرجح لها هو استعراض سعودي للقوة والقدرة على إنشاء التحالفات أمام الإيرانيين.[1]

ويضاف إلى ما سبق أن الانسحاب من سوريا جاء بعد تحسن ملحوظ في أسعار النفط وارتفاعها من 27 دولار للبرميل إلى 40 دولار للبرميل.

أما فيما يتعلق بالوضع الميداني فإن التقديرات تشير إلى أن روسيا قد نشرت في سوريا منذ سبتمبر 2015 حوالي 4 آلاف فرد لتسهيل عمل 35 قاذفة قنابل و32 مقاتلة قاذفة و8 مقاتلات و12 مروحية هجومية و4 طائرات هيلوكوبتر، كما حافظت على دورية مكونة من 7 سفن وغواصة واثنتين من السفن الحربية الصغيرة. وفي السياق نفسه ؛ فقد قامت الطائرات الروسية بأكثر من 10 آلاف طلعة جوية في معدل 60-70 طلعة يومياً وهو معدل مرتفع نسبياً .[2]

وقد ساهمت هذه القوات في تقديم إسناد ودعم فعال للنظام الذي نجح من خلال ذلك في ربط مواقعه شمال حلب مع القرى الشيعية "نبل والزهراء" وعمل على قطع طريق المعارضة شمال حلب ، كما تقدمت قواته شمال شرق اللاذقية ، وأوقفت تقدم المعارضة إلى حماة ، واستولت على بلدة الشيخ مسكين في درعا ، وحافظت على تمركزها في دير الزور ، ولم تفقد أي أراض رئيسية تذكر منذ بدء التدخل الروسي.[3]

من ناحية أخرى ؛ ساعد القصف الروسي حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي (PYD) على زيادة مناطق نفوذه ، حيث كانت وحدات الحماية التابعة له تسيطر مباشرة وبشكل منسق على مناطق المعارضة بعد قصفها من الطيران الروسي في شمال سوريا، مما جعل عملية وصل الكنتونات الكردية شمال سوريا أسهل من قبل.

---

1 JAMES STAVRIDIS, Was a Fake War in the Saudi Desert a Dress Rehearsal for a Syrian Invasion? Foreign Policy, MARCH 15, 2016, HTTP://FOREIGNPOLICY.COM/2016/03/15/FAKE-WAR-SAUDI-DESERT-SYRIAN-INVASION-PUTIN-RUSSIA-ASSAD/

2 Steven Simon, Putin's Long-Term Strategy in Syria, Foreign Affairs, March 15, 2016
https://www.foreignaffairs.com/articles/syria/2016-03-15/putins-long-term-strategy-syria

3 Russia Leaves Syria with Loyalists on the Offensive, Stratfor, 15 March 2016
https://www.stratfor.com/sample/analysis/russia-leaves-syria-loyalists-offensive

وقد أعلن وزير الدفاع الروسي أن الطيران الروسي قتل خلال الغارات 2000 مقاتلاً قدموا من روسيا ، وأن السلطات السورية نجحت بفضل الغطاء الروسي باستعادة 400 بلدة وتجمع سكاني ، وحررت ما مجموعه 10 آلاف كيلومتر مربع ، فضلاً عن تدمير 209 منشأة نفطية و نحو 3000 ناقلة.[4]

ولكن وفقاً لمركز الصراعات الدولية ؛ فإن نظام الأسد استطاع منذ بداية التدخل الروسي في 29 سبتمبر/أيلول وحتى نهاية شهر يناير /كانون ثاني 2016 أن يوسع رقعة سيطرته بنسبة 1.3% من كامل الأرض السورية [5] أما وفق مصادر من المعارضة ؛ فإن ما حصل عليه النظام من أراض جديدة كانت تحت سيطرة المعارضة لم يكن إلا 1% ، والبقية من مناطق خارج سيطرة المعارضة.

وتوضح الخارطة التالية باللون الأزرق الغامق المناطق التي سيطر عليها النظام منذ التدخل الروسي في سبتمبر 2015 وحتى مارس 2016.[6]

[4] رائد جبر، روسيا تُكمل «خلال أيام» الانسحاب «الجزئي» من سورية... والكرملين ينفي الضغط على الأسد، الحياة، 16 مارس 2016http://goo.gl/n2vJrZ

[5] 1.3% من الأرض ربحها الأسد بعد التدخل الروسي لصالحه، موقع مدار، 27 يناير 2016،http://goo.gl/pKJkm3

[6] The New York Times|Source: IHS Conflict Monitor, 18 March 2016,
http://www.nytimes.com/interactive/2016/03/18/world/middleeast/what-russia-accomplished-in-syria.html?_r=0

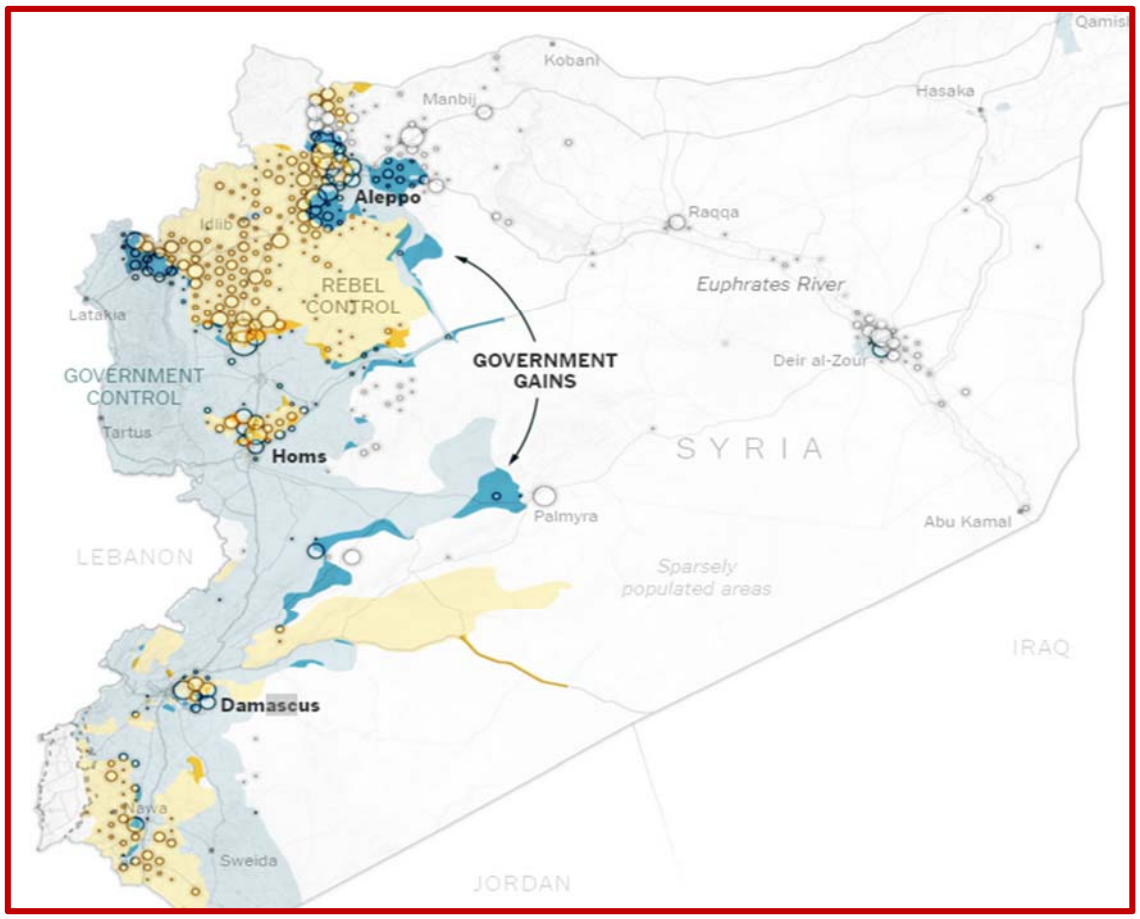

أما في موضوع فجائية قرار الانسحاب ؛ فبالرغم من أن كثيرين تفاجؤوا بقرار الانسحاب ، إلا أن بعض المؤشرات كانت تدل عليه ، مثل الإعلان سابقاً عن أن التدخل سينتهي في ديسمبر 2015 ، ووجود قناعة بأن بعض الدول كالولايات المتحدة كانت على دراية به أو متوقعة له، ومن التحليلات التي سبقت الانسحاب بيومين ما أورده موقع "ميدل ايست بريفنغ " تحت عنوان " : لماذا يحتاج بوتين إلى التخطيط لمغادرة سوريا سريعا"؟ حيث أورد التحليل مجموعة من الأسباب يتعلق بعضها بتحركات عسكرية أمريكية في منطقة بحر البلطيق ، وأخرى تتعلق بخفض ميزانية الدفاع الروسية وبوضع الاقتصاد الروسي، كما أن احتمالات وقوع روسيا في مأزق سوريا خاصة مع قيام سيناريو فشل مسار التسوية ، وفي ظل الأسباب السابقة كان يعزز فرص خروجها في هذا التوقيت ، حتى تستطيع أن تكسب الموقف التفاوضي الأفضل.

ثانياً : حقيقة الانسحاب

لم يكن الانسحاب الروسي من سوريا كاملاً ، فقد أعلنت روسيا عن بدء سحب جزء من قواتها مع الحفاظ على قدرتها على العمل من خلال قاعدة حميميم الجوية جنوب شرق اللاذقية من القاعدة البحرية في طرطوس والتي ستقوم بتوفير الحماية لهما براً وبحراً وجواً.

وفيما وصلت بعض الطائرات إلى الأراضي الروسية ، وبالرغم من حديث بعض المصادر عن إتمام ذلك في بضعة أيام ، إلا أن عدة تقارير شككت في ذلك ؛ حيث قال المتحدث باسم التحالف الدولي (ستيف وورن) : إن التحالف لم يلمس بعد دلائل على سحب كبير للقوات الروسية من سوريا، مشيراً إلى أن ثماني إلى عشر طائرات عسكرية روسية غادرت سوريا حتى تاريخ 16 مارس /آذار.

ووفقا لتقديرات نشرتها وكالة رويترز؛ فإن روسيا قد تكون سحبت خلال يومين 15 طائرة من جملة 36 طائرة قاذفة ومقاتلة سوخوي (من طرازات 24 و25 و30 و35) ، كانت موجودة في قاعدة حميميم الجوية بريف محافظة اللاذقية شمالي غربي سوريا ، وتشير تقديرات أخرى إلى أن عدد الطائرات الحربية الروسية التي كانت في قواعد بسورية تقارب الستين طائرة .

ويعتقد أن روسيا ستبقي على عدد من العسكريين والجنود والمدربين والمعدات العسكرية والطائرات ويستعرض الجدول التالي بعضاً من ذلك:

جدول (1) الأفراد والمعدات التي لم تقم روسيا بسحبها من سوريا

العدد	النوع
12	طائرة قاذفة من طرازسوخوي35 وسوخوي30، إضافة إلى سرب من قاذفات سوخوي24
حوالي 12 طائرة	طائرات هليكوبترمن طراز Mi-28 , Ka-52
1000	جنود وطيارين[7]
عدة بطاريات	منظومة أس 400 الدفاعية
----	أنظمة «بانتسير اس-1»
----	طائرات بدون طيار

[7] طبيعة الانسحاب الروسي من سوريا ودلالاته، مركز الجزيرة للدراسات، 19 مارس 2016.ص 6.

ومن ناحية أخرى ؛ فإن صوراً لأقمار صناعية أشارت إلى استمرار الروس في بناء تأسيسات في قاعدة باسل الأسد الجوية وفي القاعدة البحرية في ميناء طرطوس ، مما يدل على وجود نوايا لدى روسيا بالبقاء أو العودة.[8]

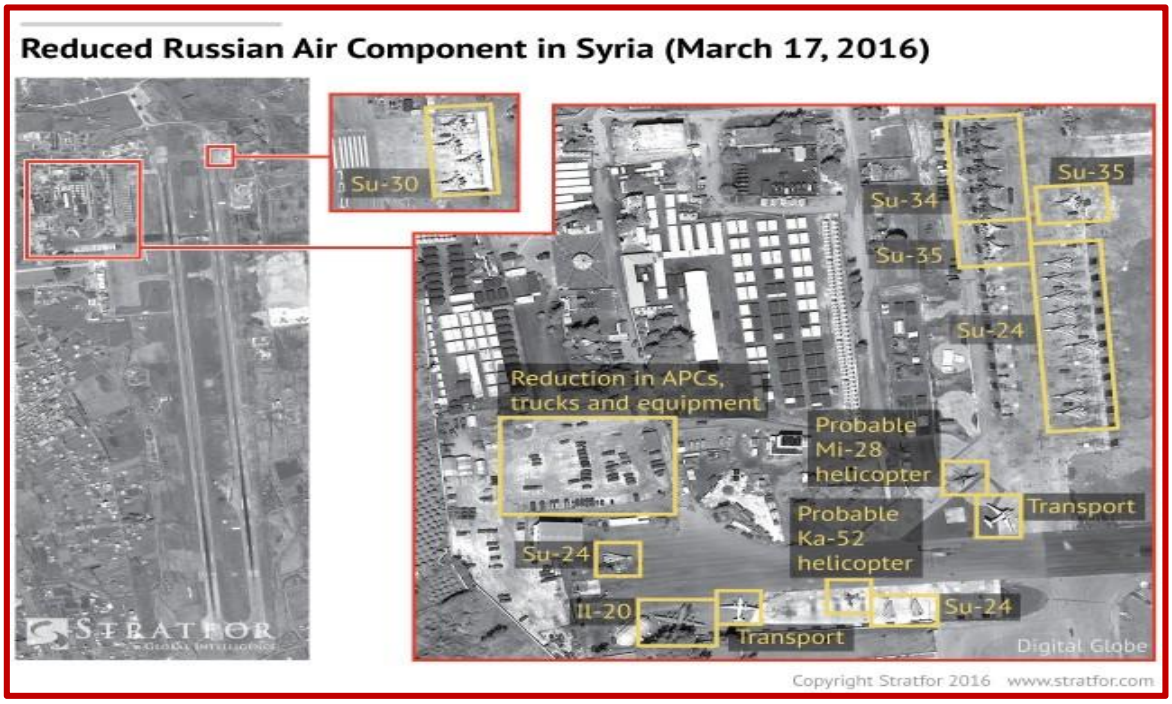

ويتفق هذا مع ما صرح به رئيس هيئة الأمن الفيديرالية الروسية(ألكسندر بورتنيكوف) من أن سحب القوات الروسية لايعني تقليص الجهود ضد الإرهاب ، مؤكداً على أن روسيا ستواصل مكافحة الإرهاب بنفسها، وكذلك ستعزز هذا الكفاح بالتعاون مع الشركاء، وما قاله بوتين نفسه بأن القوات الروسية جاهزة للعودة متى تطلب ذلك. حيث قال بوتين : "إذا اقتضى الأمر ؛ ففي خلال ساعات بمعنى الكلمة تستطيع روسيا زيادة قوتها في المنطقة إلى حجم يتناسب مع تطورات الموقف هناك ، واستخدام كل ترسانة القدرات المتاحة تحت". [9]

---

[8] موقع ستراتفور مارس 2016.

[9] روسيا تستطيع العودة بقوة إلى سوريا خلال ساعات، رويترز، 17/ مارس 2016،
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0WJ1NN?pageNumber=3&virtualBrandChannel=0

ثالثاً : دوافع الانسحاب

تتوافر قناعة كبيرة بأن قرار الانسحاب الروسي قرار مدروس بعناية بالغة ، وأن توقيته أيضاً كذلك، وفيما يدور التحليل حول مسارين ؛ أحدهما : أن الانسحاب ليس حقيقياً وما هو إلا مسرحية وخطوة للمناورة من بوتين، والثاني : أن الانسحاب نابع من أنها خطوة ذكية في الوقت الذي شعرت فيه روسيا بوجود فرصة في هذا التوقيت الذي يمكن أن تلتقي فيه أقل الخسائر الممكنة مع أكبر المكاسب الممكنة عبر صفقات مباشرة وغير مباشرة ، وفي هذا السياق يمكننا أن نستعرض عدداً من الدوافع والأهداف المختلفة الأوزان خلف القرار الروسي :

1- السياق الاقتصادي

هناك وجهة نظر تعتقد أن الدافع الاقتصادي وانكماش الاقتصاد الروسي بنسبة 3.7% قد يكون وراء الانسحاب أو أحد العوامل الضاغطة نحو التفكير بالانسحاب ، وذلك بسبب عدة أمور منها النفقات التي تكبدتها روسيا منذ تدخلها في أوكرانيا وتقدر ب 27 مليار دولار ، والآثار المتراكمة للعقوبات الغربية على روسيا بسبب اعتدائها على أوكرانيا، وانخفاض أسعار النفط لأكثر من 60% من قيمتها، والانخفاض الكبير في معدل الاستثمار في روسيا ، وكذلك ارتفاع نسبة التضخم إلى 15.4% خلال عام 2015 ، وانخفاض الروبل إلى نصف قيمته أمام الدولار ، مما جعل بوتين يقوم بخفض ميزانية الدفاع بنسبة 5% لأول مرة منذ قدومه إلى الحكم ، والذي يتوقع أن يصل إلى 10 % أيضاً في السنة القادمة.

ويرى البعض أن التكلفة اليومية للعمليات الروسية في سوريا ، والتي تقدر في حدود 4 -5 مليون دولار تضاف إلى ما سبق ، وتصل تكلفتها السنوية إلى 1-2 مليار دولار سنوياً ، لكن ثمة من يقول بأن هذه التكلفة تعد قليلة بالنظر إلى موازنة الدفاع الروسي التي تبلغ 50 مليار دولار. كما أنه لا يمكن أن يكون الدافع خلف مثل هذا القرار فقط هو توفير المال ، حيث إن روسيا يمكنها أن تستمر في تغطية هذه النفقات ، ولكن في حال القدرة على توفيرها دون تقديم أثمان أخرى ، فإن هذا يعد خياراً جيداً.

ويندرج في السياق الاقتصادي أن الانسحاب جاء بعد تحسن ملحوظ في أسعار النفط ، وذلك عقب اتفاق السعودية وروسيا وفنزويلا وقطر على تجميد معدلات إنتاج النفط عند مستويات يناير /كانون ثاني 2015 في حال انضم بقية المنتجين وهو أمر متوقع [10]، أما الحديث عن وجود صفقة سعودية روسية لرفع أسعار النفط فيعتبر من التكهنات وبخاصة مع نفي وزير الخارجية السعودي عادل الجبير لوجود صفقة من هذا النوع ، لكن بالتأكيد يعد الاتفاق على هذا الموضوع عاملاً لإعادة التوازن خاصة وأن كثير من التقديرات تشير إلى أن انخفاض الأسعار كانت أحد العوامل المحفزة على التدخل الروسي.

2- تحقق الأهداف

قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين : إن الهدف من التدخل الروسي في سوريا قد تحقق وبالرغم من أن الهدف المعلن هو مواجهة الارهاب وتحديداً محاربة تنظيم الدولة وغيرها من الجماعات مثل جبهة النصرة والتي انضم إليها مواطنون روس ، فإن الذي كان واضحاً أن الأهداف الروسية قد تمثلت في العمل على تحسين الوضع العسكري للنظام ، وتمكينه من توسيع محيطه الأمني ، وتوجيه ضربات قوية للجماعات المعتدلة المعارضة له ،وفرض وجود الأسد على طاولة المفاوضات ، إضافة إلى أهداف أخرى منها :

- إظهار أن روسيا قوة لا يستهان بها ، وجذب الأنظار إلى شخصية بوتين القادرة على مفاجأة العالم بقراراتها، والتنسيق مع واشنطن بشكل مباشر.
- تجديد منشآت روسيا العسكرية في طرطوس وإظهار القدرات القتالية والترويج لصفقات أسلحة.
- التنسيق مع الأكراد بالرغم من تحالفهم مع واشنطن.

وهذه الأهداف لا تحتاج إلى وقت طويل للتحقق في ظل الكم المكثف من طلعات القصف والتكلفة المنخفضة له ، مقارنة بطلعات التحالف التي كانت تنطلق من أماكن بعيدة في الخليج . وفي هذا الإطار يعتقد أن روسيا قد حققت من الأهداف قدراً أكبر مما كانت تتوقع.

[10] فنزويلا: اجتماع مرتقب لعشر دول نفطية، الجزيرة نت، 24 فبراير 2016.

3- السعي إلى إعادة تشكيل جولة المفاوضات القادمة

تزامن قرار الانسحاب مع بدء جولة جديدة من المفاوضات التي حاولت موسكو العبث في جولاتها السابقة من خلال محاولات إدراج وفود معارضة على مقاساتها ، وفيما يعتبر قرار الانسحاب عاملاً إيجابياً لإنجاح المفاوضات ، يعتقد أن روسيا تريد من خلاله إظهار أنها قدمت تنازلاً كبيراً ، وأنها تضغط على النظام لتقديم تنازلات ، وبالتالي فإن المعارضة هي الأخرى عليها أن تتنازل عن قسم من مطالبها أو تبدي مرونة في بعض المواضيع.

ويأتي في هذا السياق ما أبداه نظام الأسد من تشدد في جولة المفاوضات الماضية ، واستمراره بالعمليات العسكرية في أثنائها ، وذلك في ظل التزام المعارضة بوقف الأعمال العدائية الذي كانت موسكو أحد رعاته فضلاً عن إعلان النظام الاستعداد للانتخابات ، وهو ما قرئ في أحد جوانبه بأنه تحد لروسيا وتناقض مع دبلوماسيتها ، أو تهديدا لمسارها المتقارب مع واشنطن لحل الأزمة.

وفي هذا السياق فقد ظهر أن بوتين قد أبلغ الأسد هاتفياً وفي نفس يوم الانسحاب ، مما قد يؤشر إلى وجود أزمة ومحاولات ضغط على النظام ، لكن هذا لا يعني أن روسيا قد تخلت عن النظام إن صح وسيتضح بشكل أكبر في الجولات القادمة من المفاوضات.

4- تخفيف آثار أزمة أوكرانيا

هناك قول بأن روسيا قد دخلت في سوريا ليس لأجل بقاء الأسد ، بل من أجل المناورة للحصول على مكاسب في مناطق أخرى وأهم هذه المناطق هي أوكرانيا، وأن الانسحاب الذي جاء بعد اتفاق كل من موسكو وواشنطن على رعاية ثنائية لاتفاق وقف الأعمال العدائية قد تبع باتفاق قامت فيه روسيا بمقايضة مع واشنطن لرفع العقوبات عنها بسبب أوكرانيا مقابل انسحابها التدريجي من سوريا، لكن هذا ليس بالأمر السهل في ظل تأكيد أوروبا على فصل الملفات الذي حاولت روسيا ربطه من خلال القصف المكثف لدفع مزيد من اللاجئين ولدفع الأوروبيين لإعادة النظر في الملف.

وبالرغم من أن المسؤولين الأوروبيين أصروا على عدم وجود صلة بين العقوبات المفروضة على روسيا بسبب أوكرانيا ، وتدخل الكرملين في سورياوإعلانه الانسحاب ، فإن تدفق ملايين

اللاجئين السوريين يؤدي لتغذية الاضطراب السياسي في القارة الأوروبية، وتهديد نظام السفر من دون جوازات بين بلادها، وصياغة ملامح السجال الدائر حول خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، مما يجعل الانسحاب الروسي موضوعاً حيوياً بالنسبة للقادة الأوروبيين وخطوة يمكن تقييمها في إطار أكبر.

وفيما رحبت الحكومات الأوروبية بإعلان بوتين أن القوات الروسية ستبدأ الانسحاب من سوريا، ولكنها أحجمت عن تقييم تداعيات هذا الإعلان ، حيث ما زال هناك وقت إلى 31 يوليو للقادم للتصويت على استمرار أو إيقاف العقوبات الأوروبية على روسيا ، ولكن يوجد قبل هذا الاجتماع عدة اجتماعات في بروكسل ، واجتماع مجموع الدول السبع الكبرى في اليابان في مايو القادم والتي سيجتمع خلالها الأوروبيون بالأمريكان وقد تكون فرصة للتشاور بهذا الشأن.[11]

ويبدو أن الفرص تميل إلى عدم تجديد العقوبات ، حيث يحتاج قرار التجديد إلى الإجماع من جميع دول الاتحاد ، حيث تحتاج روسيا إلى عدم موافقة دولة واحدة على القرار ، ويبدو أنها ستحصل على أكثر من ذلك في ظل توجهات كل من إيطاليا والمجر لعدم التجديد.

5- الخروج قبل التورط في سوريا

يفترض هذا السبب أن روسيا وصلت إلى قناعة بأن الحل العسكري لن يؤدي إلى نتائج أكثر ، وأن الاستمرار سيكون أكثر كلفة وخطراً ، وأن المحافظة على ما تحقق بالطرق الدبلوماسية يمكن أن يكون كافياً ، وأنه لا داعي لتكرار تجربة أفغانستان من جديد وبخاصة مع احتمالات فشل الجهود التفاوضية، وفي هذا السياق أيضاً يوجد معلومات مؤكدة بأن السعودية أوصلت أسلحة مضادة للطيران لبعض مجموعات المعارضة السورية ، مع وجود إرادة تركية وسعودية مشتركة لتزويد المعارضة بأسلحة متقدمة.

[11] جريجوري فيسكوسي وجوناثان ستيرنز وجون فوليان، «الانسحاب» الروسي من سوريا.. أصداء وتداعيات، 17 مارس 2016، صحيفة الاتحاد، http://www.alittihad.ae/details.php?id=10678&y=2016

6- الخروج لتأمين أماكن أكثر أهمية

ليس مستبعداً أن تكون هناك أسباب أخرى وراء الانسحاب الروسي ليست متعلقة بسوريا والشرق الأوسط، ومن المحتمل أن روسيا ترى ضرورة للاحتفاظ بقواتها الجوية من أجل مهمات أخرى في المستقبل القريب ولكن في مناطق أخرى ، وذلك بسبب توجهات الناتو لنشر ألوية قتالية في منطقة البلطيق وأوروبا الشرقية على طول الحدود الروسية.

رابعاً : آثار الانسحاب

1. التأثير على النظام السوري

تفاجأ المناصرون لنظام الأسد بقرار الانسحاب الروسي لكن ليس كما تصور كثيرون ، وانتشرت تعليقات تفيد بأن الأسد يعيش في حالة من الرعب بسبب الانسحاب الروسي ، حيث إن الروس يغادرون سورية والأسد في وضع أفضل مما قبل التدخل حيث تتمتع قواته بوضع جيد. كما أن الروس لن يتوقفوا عن عملية إمداد النظام بالدعم والعتاد اللازم فضلاً عن المشاركة في العمليات المفصلية.

ولكن سوف يخفض الانسحاب من سقف مطالب الأسد ، وسوف يفقده كثيراً من الدعم الذي كان يوفره القصف الدقيق نسبياً للطيران الروسي ، وسوف يتأثر الأسد كثيراً في حال صحة وجود خلافات بين النظام وروسيا ، وأن الانسحاب كان في جزء منه أو في توقيته خطوة تأديبية للأسد.

وفي هذا السياق فإنه ليس من الصحة بمكان القول بأن روسيا تخلت عن نظام الأسد ، بل هي تريد أن تدير الأزمة من الناحية التي ترى فيها أكثر تحقيقاً لمصالحها وليس لمصالح النظام السوري.

2. إيران

بالرغم من أن إيران قد رحبت بالانسحاب الروسي ، وادعى بعض المسؤولين فيها العلم المسبق بالقرار

ولكن ليس من السهل التأكد من أن إيران قد رحبت بالانسحاب على قاعدة أنها كانت مستاءة من بعض التوجهات الروسية والتي لم تترك لها كثير اً من المساحة لفرض توجهاتها ، أو أن إيران أيضاً تعد أحد أطراف سيناريو الصفقة الشاملة وبخاصة فيما يتعلق بأسعار النفط.

حيث ما زالت إيران ترفض اتفاق خفض الإنتاج في هذه المرحلة عند مستويات كانون الثاني (يناير) الذي قدرته مصادر ثانوية في أوبك عند 2.93 مليون برميل يومياً ، لأنها تريد أن تعوض الخسائر التي فرضت عليها خلال فترة العقوبات.

لذا ؛ فإن إيران ستعارض أي اتفاق على ذلك، وقد قال وزير النفط الإيراني بيجن زنغنه "إن إيران ربما ستنضم للاتفاق بعد وصول إنتاجها إلى أربعة ملايين برميل يومياً ، وأضاف "يجب أن يتركونا وشأننا ما دام الخام الإيراني لم يصل إلى أربعة ملايين (برميل يومياً). سننضم إليهم بعد ذلك."

ولهذا لن تقبل إيران إلا إذا حصلت على وضع استثنائي بمعزل عن الاتفاق ، وهو ما قد ترفضه السعودية ودول الخليج ما لم يكن هناك تفاهمات مسبقة قد تكون ذات علاقة بالانسحاب الروسي.

من ناحية أخرى يفرض الانسحاب على إيران تحديات جديدة وبخاصة مع وجود مصادر تؤكد أن ايران تدعم خيارات الأسد التي تعارض روسيا ، والتي منها الحديث عن إجراء انتخابات ، والتعنت في المفاوضات وغيرها، وترى بعض القراءات أن روسيا مارست من خلال انسحابها ضغوطاً على إيران أيضاً من أجل خفض سقف توقعاتها من جنيف.

أما التحدي الآخر والذي يتصل بإيران أيضاً ؛ فهو تزايد الطموح الكردي في كل من سورية وتركيا والعراق ، وهو ما قد تصل تبعاته إلى إيران التي كانت لها تجربة مع دولة مهاباد والتي دعمها الروس أيضاً في السابق.

أما ميدانياً ؛ وفي حال أرادت إيران الاستمرار في دعم الأسد وفي ظل خلافات مع الروس ، فإن هذا يحتم عليها تعويض الفراغ الذي أحدثه الانسحاب الروسي ، وقد ذكرت بعض المصادر أن إيران ستقوم بإرسال 2500 مقاتل إيراني جديد من فيلق القدس إضافة لعدد من عناصر قوات الباسيج.

وفي هذا السياق فإن كثيراً من الدراسات التي تناولت الانسحاب الروسي كانت قد ضخمت من الدور الروسي الذي وبالتأكيد قد قام بدور كبير لدعم النظام السوري ، وأضاف عمقاً استراتيجياً ، إلا أنها أغفلت الدور الإيراني ودور المليشيات الشيعية اللبنانية والعراقية والأفغانية ، حيث إن عدد العسكريين الذين أرسلتهم إيران إلى سورية يفوق ضعف القوات الروسية فضلاً عن أن كثيراً من الضباط الإيرانيين الكبار قد قتلوا أو أصيبوا في جبهات متقدمة.

3. السعودية

تزامن الانسحاب ربما بشكل تصادفي مع مناورة رعد الشمال بقيادة السعودية ، وبعد إعلان الأخيرة عن استعدادها للدخول في سورية ، وإعلانها لحزب الله منظمة إرهابية ، ولكن يبقى سيناريو التدخل السعودي مرتبطاً بموضوع التطورات فيما يتعلق بمسار التفاوض ، وموضوع الحل الفيدرالي ، وإمكانية وجود تدخل عربي لتنفيذ اتفاقات ما ، ولكن هذا ليس متاحاً في المدى المنظور.

وقد ثبتت صحة وجود تفاهمات حول أسعار النفط بين موسكو والرياض ، وهذا سيكون له تأثير على مسار العملية التفاوضية في جنيف ، والعمل على إبداء مرونة أكبر من الأطراف المتحاورة.

4. تركيا

يقلل الانسحاب من فرص الاصطدام بين تركيا وروسيا ، والتي أدت في السابق إلى توتر العلاقات إلى درجة التهديدات بسبب إسقاط تركيا لطائرة ، وقد تلا الانسحاب بعض التسهيلات الروسية فيما يتعلق بالشركات التركية في روسيا ، والتي كانت قد مارست عليها بعض التضييقات.

من جهة أخرى لا يجب إغفال حقيقتين إحداهما أن روسيا لم تنسحب كلياً ، وأن طيرانها وأنظمة رادارها لا تزال موجودة . وأما الأمر الآخر ؛ فهي قد ساعدت الأكراد في شمال سوريا في الاقتراب من إنشاء كيانهم الذي ترفضه تركيا ، وقد قامت بفتح ممثلية لهم في موسكو ، وحاولت التواصل مع أكراد تركيا ، مما يجعل تركيا في وضع غير مريح.

يفتح هذا الأمر الباب للتنسيق بين كل من تركيا وإيران للعمل معا على رفض فكرة الكيان الكردي، لكن لايعرف إلى أي درجة يمكن أن تتعاون إيران ، وهي ذاتها تمتلك علاقات جيدة مع حزب العمال الكردستاني.

5. الأكراد

بمجرد الإعلان عن الانسحاب الروسي قام حزب الاتحاد الديمقراطي بإعلان الفيدرالية على المناطق التي يسيطر عليها ، وبالرغم من أن روسيا أعلنت رفضها لهذه الخطوة الأحادية فإن روسيا نفسها كانت قد طرحت فكرة الفيدرالية من قبل ، من أجل ضمان إنشاء مثلث علوي يضمن لها الحفاظ على قاعدة طرطوس ومطارحميميم ، إضافة إلى حقوق الشركات الروسية في استثمار الثروات النفطية والغازية في السواحل السورية . وقد قامت بالتنسيق مع الأكراد الذين كانوا نقطة التلاقي بين موسكو وواشنطن وسهلت لهم الوصول إلى أهدافهم.

وفي ظل المعارضة التركية للكيان الكردي والتي كانت سبباً لقصف المدفعية التركية لوحدات الحماية الكردية ، والتي يبدو أيضاً أنها ستعمل بكل قوتها لمنع قيام أي كيان أو ربط للكنتونات . يبدو أن مشروع الكيان الكردي سيبقى تحدياً كبيراً ، كما أن الحديث عن توترات ما بين روسيا والنظام وعدم استبعاد تخلي روسيا عن شخص الأسد ، يبقى التساؤل مفتوحاً عن التوقيت الذي يمكن أن تترك فيه روسيا استخدام الورقة أو المسألة الكردية.

يبقى الإشارة هنا أيضاً إلى أن أطرافاً كردية عدة في سوريا ترفض ما قام به حزب الاتحاد.

6. التأثير على المعارضة و المفاوضات

اعتبرت المعارضة السورية أن الانسحاب الروسي سيكون له آثار إيجابية على المفاوضات إذا تم تطبيقه بشكل حقيقي وإذا كان انسحاباً كاملاً[12]، كما يمكن للانسحاب أن يعزز فرص صمود وقف إطلاق النار، ولكن الانسحاب الروسي سيزيد من فرص التنسيق الروسي الأمريكي ، وهو ما قد يعقد الطريق أمام المعارضة في بعض النقاط ، وبخاصة إذا ما اتفق الطرفان على البدء بخطوات نحو تطبيق الفيدرالية.

ميدانياً ؛ ربما سوف يصبح هامش التحرك لقوات المعارضة أكثر سهولة مع الانسحاب الروسي ، وتعتبر المعارضة المستفيد الأكبر من الانسحاب الجزئي الروسي الذي كان عامل تراجع كبير من طرف المعارضة بسبب الحملة الشديدة التي استهدفها التدخل الروسي ، والتي لم تكن قادرة على صده ، وهنا تتصاعد فرصة المعارضة لتحقيق تقدم ميداني بعد أن خسرت الكثير من أراضيها بسبب التدخل الروسي ، كما أن جبهة النصرة تسعى تسعى إلى إظهار قوتها بعد الانسحاب ، مما يهدد وقف إطلاق النار أيضاً.

[12] تصريح سالم المسلط، 15 مارس 2016.

الخاتمة

لقد تم التعامل مع قرار الانسحاب الروسي في مسارين ؛ أحدهما : أنه انسحاب غير حقيقي ، وخطوة تكتيكية مخادعة . والآخر : بأنه حقيقي ؛ وقد انقسم إلى فرعين ؛ أحدهما : أنه ناتج عن ضغوط كبيرة ومحاولة للفرار من التورط . فيما كان الفرع الثاني يراه ضمن صفقة شاملة سياسية واقتصادية وعسكرية.

ويمكننا القول بأن روسيا حاولت عبر هذا القرار ، وفي هذا التوقيت الذكي ، صياغة سلوك يجمع بين كل ما سبق ؛ فقد صورت الانسحاب على أنه انسحاب كبير ، فيما أبقت على تواجد شبه ثابت يمكنها من العودة متى شاءت، كما أن صعوبة تحقيق الانتصار العسكري في سورية ، والظروف التي تعيشها في أماكن أخرى ، و الضغوط الاقتصادية الروسية ، والتي ربما كانت سبباً في تدخلها من الأساس قد جعلتها تستخدم ورقة تواجدها وانسحابها من سورية كورقة للمساومة في صفقات من أجل رفع العقوبات المفروضة عليها بشأن أوكرانيا ، ومن أجل العمل على رفع أسعار النفط لتحل مشاكلها الاقتصادية ، وعملت على العمل جنباً إلى جنب مع واشنطن لكي تحاول التوصل إلى تفاهمات بشأن عمل الناتو في محيطها الاستراتيجي.

حققت روسيا بعض الأهداف المتمثلة في فرض نفسها على الساحة الدولية ، واستطاعت جعل تواجدها ودورها في سورية فرصة لإعادة التفاوض على أسس جديدة في ملفات مختلفة.

لكن روسيا تضررت في بعض الجوانب فلم تنجح في إخفاء وجهها القبيح في سورية وهي تقصف المعارضة المعتدلة وتقصف عدداً من المستشفيات، كما أن ظهور خلافاتها مع الأسد ، والتفكير بالانسحاب دون تنسيق معه ، يهدم الرواية التي كانت تسوقها بأنها ليست كواشنطن وأنها لا تتخلى عن حلفائها.

لم تتضح بعد مكاسب روسيا بل سيبقى قياس ذلك مرتبطاً بنتائج مباحثات جنيف ، و بقرار الاتحاد الأوروبي حول العقوبات ، وبموقف الناتو وواشنطن من التوسع في محيط روسيا.